﴿ رسالة التوحيد ﴾

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ، ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ، وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ * (سورة الروم ٣٠ : ٣٠ — ٣٢)

إن الله جلت قدرته ، وبلغت حكمته ، قد برأ هذا الانسان ، بفطرة أعلى من فطرة سائر أنواع الحيوان ، أودع فيه شعوراً بالذات وآلام غير جسدية ، فكان له بذلك حياة غير الحياة الحيوانية ، انشأه مستعداً لإدراك معلومات غير محصورة ، اذ خلقه ليحيا حياة غير محدودة ، جعل مدار حياته على التعاون والاجتماع ، ليستعين بذلك على استجلاء ما في الكون من النظام والابداع ، أنشأ افراده متفاوتين في الاستعداد للعلوم والأعمال ، ليتيسر لمجموع النوع القيام بجميع العلوم والاعمال ، فأدناهم الخدم والبناؤن والزارعون ، وأعلاهم الساسة والحكماء فالانبياء والمرسلون ، فهؤلاء كالعقول والقلوب والارواح ، وأولئك كالأرجل والايدي والمعد والامعاء ، فمنهم من يقوم للنوع بأدنى ما يحتاج اليه ، ومنهم من يهديه الى أعلى ما يتشوف استعداده إليه ، مع احسانه التصرف فيما هو قائم عليه ، وهذه الهداية هي هداية الدين الذي هو قوام الفطرة للانسان ، الناهض بها الى طلب الكمال في العلوم والاعمال ،

سار الدين بتكميل الفطرة البشرية على منهاج التدريج في الارتقاء ، كما هي السنة العامة في جميع شؤون الاحياء ، حتى جاء خاتم النبيين والمرسلين بالاسلام ، الذي بلغ بالانسان مرتبة الاستقلال التام ، وبين كتابه انه دين الفطرة للناس ، من جميع الشعوب والاجناس ، الموافق لهم في كل مكان ، المنطبق على مصالحهم في كل زمان ، فهو للقبائل الساذجة كالمربي الرحيم ، وللشعوب الراقية كالامام الحكيم ، كلما ساروا في العلوم والمدنية شوطا رأوه المجلي في ميدان السبق ، ﴿ ٤١ : ٥٣ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ﴾

لكن المسلمين قد خذلوا هذا الدين ، وصاروا حجة عليه عند اكثر العالمين ، اذ زينت لهم التقاليد والعادات ، ان يجعلوه حجابا دون العلوم والفنون والصناعات ، وان يتفرقوا فيه مذاهب وشيعا ، وينقصوا منه سننا ويزيدوا عليه بدعا ، وان يجعلوا كتب العقائد ملأى بالجدل والمراء ، بين اهل المذاهب من الاموات والاحياء ، وقد مرت القرون وليس عندنا مصنف يصلح للدعوة الى الاسلام ، على الوجه الذي اشترطه علماء الكلام ، وهو ان يكون على وجه يحرك الى النظر ، ويدعو الى البحث والتفكر ، حتى قام الاستاذ الامام ، الذي كان في هذا العصر حجة الاسلام ، الشيخ محمد عبده قدس الله روحه في دار السلام ، فكتب (رسالة التوحيد) في بيان حقيقة هذا الدين ، فجاء مع التزام الشرط بما لم يأت بمثله أحد من أئمة المسلمين ،

لا اذكر في بيان فضل هذه الرسالة ان مجلس ادارة الازهر قرر تدريسها في الجامع الازهر رسميا ، ولا ان علماء الهند ترجموها بلغة الأوردو ليدرسوها في مدرسة عليكده الكلية وغيرها ، ولا ان علماء الاقطار الذين اطلعوا عليها قد كتبوا لمؤلفها من منثور الثناء ومنظومه ما يزيد على حجمها اضعافا مضاعفة ، ولا ان بعض علماء النصارى قالوا عند ما قرءوها : لو كان ما في هذه الرسالة هو الاسلام لكنا اول من يدخل فيه ، ولكنها حكمة الشيخ محمد عبده الذي نؤمن بفضله ، وعلو كعبه ، لا أشرح هنا شيئا من مثل هذا وانما أقول انه لا يقدر هذه الرسالة حق قدرها الا من كان عالما بمنتهى ما وصل اليه علم الكلام من الارتقاء في الاسلام ، وواقفا على

ما كتبه فلاسفة أوربا في الانتقاد على الاديان، مع ما كتبوه في بيان مزاياها وفي علم النفس وعلم الاخلاق وعلم الاجتماع البشري

لم تدع الرسالة شبهة على الدين الا وكشفتها، ولا عقدة من عقد المشكلات الا وحلتها، ولكن الشبه تذكر فيها غالبا بطريق الايماء والتلويح، دون الابانة والتصريح، وذلك أدنى ان لا يشك الضعيف، ولا يشتغل القوي عن المقصد الشريف، وقد أشار الى ذلك المصنف في قوله «راميا الى الخلاف من مكان بعيد، حتى ربما لا يدركه الا الرجل الرشيد»

كتب الاستاذ الامام هذه الرسالة في مدة قليلة و بادر إلى طبعها فلما قرأها في الجامع الازهر على الالوف من العلماء ونجباء الطلاب ظهر له فيها أغلاط لغوية ومسائل تحتاج الى إيضاح وكلم جدير بالحذف فكان يكتب ما يراه من التنقيح في النسخة التي يقرأ بها الدرس ويزيد ما يزيد في هامشها، وقد انتقد عليه الشيخ محمد محمود الشنقيطي (رحمها الله) ذكره لمسألة خلق القرآن لانها مخالفة لشرطه في التزام مذهب السلف فأمر بحذف ذلك منها (راجع ص ٣٧ منها) وانتقد عليه حروفا أخرى فأقنعه في بعضها واقتنع منه في بعض. وقد جمع جميع ما صححه في جدول فكان ذلك في سبعين موضعا أو أكثر. وبقي فيها كلمات نادرة قد سها المؤلف عنها مع تصحيحه لمثلها، فأبقيتها على أصلها (* الا كلمة واحدة في ص ١٣١ ولم أزد فيها من عندي الا الرقم الدال على عدد السور والآيات عند ذكرها

ولما كتب الي صديقي حموده بك عبده يأذن لي بإعادة طبع الرسالة اعطاني الجدول فصححت هذه الطبعة ممارضة عليه وعلى نسخة المؤلف. وعلقت عليها هوامش قليلة سمعت بعضها منه في الدرس، ولولا انه نهى عن شرحها، ووضع الحواشي لها، لجاز لي أن أكثر من هذه الهوامش، ولكن ما رآه رحمه الله هو الصواب، وما جاء به هو الحكمة وفصل الخطاب، فهذه الطبعة هي المعتمدة وعليها المعول ولا يستغني عنها من طالع الطبعة الأولى فرحم الله الاستاذ الامام، ونفع برسالته الأنام، آمين

محمد رشيد رضا الحسيني
منشئ المنار

٥) مثل تعدية التكليف بالباء واتباعها الاصوليين وغيرهم ومثل لفظ الصدفة